﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾﴾ [القصص: 33]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

طَلَبُ ما يُزيلُ الخوفَ، بعدَ العلمِ بتكليفه بالبلاغ، لفرعون وملئه

لمّا قالَ سبحانَهُ: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾، تضمَّنَ ذلكَ أنْ يذهبَ موسى بهذينِ البرهانينِ إلى فرعونَ وقومِهِ، فعندَ ذلكَ طلبَ مِنَ اللّه جلَّ ذكرُهُ ما يُقوّي قلبَهُ، ويُزيلُ خوفَهُ، فقالَ: ﴿رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿قَتَلْتُ﴾: (قتل) أصلٌ يدلُّ على إذلالٍ وإماتةٍ[2]، فالقتلُ: إزالةُ الرّوحِ عن الجسدِ كالموتِ، لكنْ إذا اعتُبِرَ بفعلِ المُتولّي لذلكَ يقالُ: قتلٌ، وإذا اعتُبِرَ بفَوْتِ الحياةِ يقالُ: موتٌ، قالَ ﷻ: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ [آل عمران: 144]، وعنهُ استُعيرَ على سبيلِ المبالغةِ: قتلتُ الخمرَ بالماءِ، إذا مزَجْتَهُ، وقتلتُ فلانًا، إذا ذلَّلْتَهُ، والمقاتلةُ: المحاربةُ وتحرّي القتلِ[3].

2) ﴿نَفْسًا﴾: النَّفسُ: ذاتُ الشَّيءِ وجملتُهُ، قالَ تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: 185][4]، والمنافسةُ: مجاهدةُ النَّفسِ للتَّشبُّهِ بالأفاضلِ واللُّحوقِ بهم، قالَ تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين: 26][5]، ومِنَ المجازِ قولُهم: دَفَقَ نفسَهُ، أي: دمَهُ[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

خوفُ موسى عليه السلام مِنْ انتقام فرعونَ وملئه منه

قالَ موسى عليه السلام، لمّا عَلِمَ بإرسالِهِ إلى فرعونَ وملئِهِ: ربِّ إنّي قتلتُ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 596، والشّوكاني، فتح القدير: 4/ 199.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قتل).
(3) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (قتل).
(4) السّمين، عمدة الحفّاظ: (نفس).
(5) الرّاغب، المفردات: (نفس).
(6) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (نفس).

مِنْ قومِ فرعونَ نفسًا، وهو ذلكَ القِبْطيُّ، فأخافُ إنْ أتيتُهم ولم أُبِنْ عن نفسي بحُجَّةٍ أنْ يقتلوني إذا رأَوْني[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نكتةُ فصلِ الآيةِ عمّا قبلَها:

الفصلُ لشِبْهِ كمالِ الاتِّصالِ، مفيد في الإبانة عن المعنى

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ عمّا قبلَهُ؛ لِما بينَهما مِنْ شِبْهِ كمالِ الاتِّصالِ الموجِبِ للفصلِ؛ لأنَّ هذهِ الجملةَ استئنافٌ بيانيٌّ جوابًا عن سؤالٍ نشأ مِنَ الكلامِ السّابقِ، كأنَّهُ قيلَ: ما فعلَ بعدَ رؤيةِ هذهِ الخوارقِ؟ فقيلَ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾، ومهَّدَ بذلكَ لطلبِ المُعينِ، وهو أخوهُ هارونُ عليه السلام[2].

نكتةُ التَّعبيرِ بالنِّداءِ ﴿رَبِّ﴾:

إظهارُ الاعتناءِ بحصولِ المرادِ، مهمّ في فهمِ الدّلالة

جيءَ بأسلوبِ النِّداءِ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾؛ لإظهارِ كمالِ اعتناءِ موسى عليه السلام بحصولِ مقصودِهِ، والمقامُ مقامُ تضرُّعٍ ودعاءٍ، فيناسبُهُ الإتيانُ بهذا الأسلوبِ المُنبئِ عن اهتمامِ الدّاعي بإجابةِ دعائِهِ.

بلاغةُ الإيجازِ في قولِهِ: ﴿رَبِّ﴾:

الإيجازُ بالحذفِ، مسلك للإفصاح عن المعنى بقوّة

في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ إيجازٌ بالحذفِ، وذلكَ بحذفِ أداةِ النِّداءِ وياءِ المُتكلِّمِ، والأصلُ: (يا ربّي)، وفي هذا الحذفِ مناسبةٌ لمقامِ القُرْبِ والمناجاةِ؛ لأنَّ فيهِ إشعارًا بقُرْبٍ معنويٍّ مُنزَّلٍ منزلةَ القُرْبِ الحسّيِّ، ولذلكَ حُذِفَ منهُ ما قد يوهِمُ البُعْدَ.

سرُّ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿رَبِّ﴾:

مناسبةُ لفظِ الرُّبوبيَّةِ لمقامِ التَّضرُّعِ

جيءَ بلفظِ الرُّبوبيَّةِ، في قولِهِ عزَّ شأنُهُ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾؛ لِما يدلُّ عليهِ بحسَبِ معناهُ اللُّغويِّ مِنَ التَّربيةِ والإحسانِ،

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 236، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 20/ 57.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 283.

وفي التَّعبيرِ بهِ مناسبةٌ لمقامِ التَّضرُّعِ والدُّعاءِ، وطلبِ الحاجاتِ، والمعنى: أيُّها المُحسِنُ إليَّ إنّي قتلتُ منهُم نفسًا[1].

نكتةُ تأكيدِ قولِهِ: ﴿إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾:

المبالغةُ في تحقيقِ مضمونِ الكلامِ، مسلك للإبانة والإفهام

جيءَ بالتَّأكيدِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾؛ للمبالغةِ في تحقيقِ مضمونِهِ، وهو وقوعُ القتلِ مِنْ موسى عليه السلام[2]. وقيلَ: أُكِّدَ القتلُ معَ أنَّ اللّهَ أعلمُ بخفيّاتِ الأمورِ؛ اعتبارًا بالمعطوفِ، وهو خوفُ القتلِ[3]. وقيلَ: أُكِّدَ الكلامُ؛ لأنَّ إرسالَ اللّهِ سبحانَهُ لهُ فعلُ مَنْ لا يعتبرُ أنَّ لهُم عليهِ تِرَةً، فذكرَ ذلكَ ليعلمَ وجهَ عدمِ اعتبارِهِ[4]. وقيلَ: جرَى التَّأكيدُ على الغالبِ في استعمالِ أمثالِهِ مِنَ الأخبارِ الغريبةِ؛ ليتحقَّقَ السّامعُ وقوعَها، وإلّا فإنَّ اللّهَ قد علمَ ذلكَ[5].

غرضُ الإخبارِ بقولِهِ: ﴿إِنِّي قَتَلْتُ﴾:

طلبُ حماية الله مِنَ الأعداءِ، مقدّمة لطلبِ النّصرة عليهم

قولُهُ تعالى ذكرُهُ: ﴿إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾، معناهُ: إنّي قتلتُ منهُم قِبْطيًّا، فأخافُ أنْ يذكُروا قتلي لهُ فيقتلوني، فهذا كالاعتذارِ، وهو يعلمُ أنَّ رسالةَ اللّهِ لا يُتخلَّصُ منها بعُذْرٍ، ولكنَّهُ أرادَ أنْ يكونَ في أمنٍ إلهيٍّ مِنْ أعدائِهِ، فهذا تعريضٌ بالدُّعاءِ، ومُقدِّمةٌ لطلبِ التَّأييدِ والنُّصرةِ[6].

نكتةُ التَّعبيرِ بالماضي ﴿قَتَلْتُ﴾:

التّنبيهُ على تحقُّقِ القتلِ ووقوعِهِ، دون تعمّده

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾؛ للدَّلالةِ على تحقُّقِ القتلِ ووقوعِهِ، وأنَّهُ أمرٌ ثبتَ ومضَى، فيُخبَرُ عنهُ كما يُخبَرُ عن الأخبارِ والأحداثِ الماضيةِ.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 238.
(2) القوتويّ، حاشية على البيضاويّ: 14/ 513.
(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 269.
(4) البقاعي، نظم الدّرر: 14/ 283.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 115.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 115.

غرضُ تقديمِ المسنَدِ إليهِ على المسنَدِ:

قُدِّمَ المسندُ إليهِ على المسندِ الفعليِّ، في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾؛ لإفادةِ تقوّي حكمِ القتلِ؛ بيانُ ذلكَ: أنَّ في قولِهِ: ﴿إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ نسبةَ القتلِ إليهِ، وفي ﴿قَتَلْتُ﴾ ضميرٌ راجعٌ إليهِ، فيفيدُ إسنادَ القتلِ إليهِ مرَّةً أخرى، كأنَّهُ قيلَ: إنّي قتلتُ منهُم نفسًا، إنّي قتلتُ منهُم نفسًا.

إفـادةُ تـقـوّي الحكمِ، مسلك للإبانة عن المراد

معنى (مِنْ) في قولِهِ: ﴿مِنْهُمْ﴾:

(مِنْ) في قولِهِ ﷻ: ﴿إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ للتَّبعيضِ، فالمقتولُ هو بعضُ آلِ فرعونَ، وواحدٌ مِنْ جملتِهم. أي من آل فرعون، وفي ذلك تبرير للفعلة، فهو يؤكّد أنّه ما خرج منها خائفا يترقّب، إلّا مخافة العقاب، دون التفات للمعاذير والأسباب.

كـون الـقـتـيـل مـنـهـم، أدعـى لأن يـبـادروه بانتقام مفضٍ إلى الهلاك

نكتةُ تقديمِ ﴿مِنْهُمْ﴾ على ﴿نَفْسًا﴾:

قُدِّمَ ﴿مِنْهُمْ﴾ على ﴿نَفْسًا﴾ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾؛ للعنايةِ بالمُقدَّم، وهو كونُ القتل قد وقعَ على بعضِ آلِ فرعونَ، وهو مَناطُ الخوفِ الَّذي كانَ يخامرُ موسى ﷺ؛ لعلمِهِ بشدَّةِ بأسِ فرعونَ وقومِهِ وبَطْشِهم، وبسببِ ذلكَ طلبَ مِنَ اللهِ تعالى الأمانَ والتَّأييدَ.

العنايةُ بالمُقدَّمِ، دلـيـل عـلى أهميّته في المعنى

غرضُ تنكيرِ قولِهِ: ﴿نَفْسًا﴾:

تنكيرُ ﴿نَفْسًا﴾ في قولِ الباري ﷻ: ﴿إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ للعهدِ؛ لأنَّ المرادَ نفسٌ مُعيَّنةٌ، وهو القِبْطيُّ الَّذي وكَزَهُ موسى ﷺ فقضَى عليهِ[1].

معنى الفاءِ، في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿فَأَخَافُ﴾:

الفاءُ في قولِهِ تقدَّسَتْ أسماؤُهُ: ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ للتَّفريعِ، وهي تفيدُ تفرُّعَ خوفِ موسى ﷺ، أنْ يقتلوهُ على قتلِهِ الرَّجلَ القِبْطيَّ مِنْ آلِ فرعونَ.

من طلب الأمن من الله، كان في حراسته وحماه

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 304.

وهذا التَّفريعُ هو المقصودُ مِنْ كلامِ موسى ﷺ؛ لأنَّهُ يريدُ الأمنَ مِنَ اللهِ ﷻ، وإخبارُهُ بوقوعِ القتلِ منهُ، كانَ مُقدِّمةً وتمهيدًا لذلكَ.

دلالةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ ﴿فَأَخَافُ﴾:

التَّنبيهُ على استمرارِ الخوفِ، تصويرُ لحالِ موسى على الحقيقة

جيءَ بصيغةِ المضارعِ في قولِ اللهِ عزَّ شأنُهُ: ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾؛ للدّلالةِ على استمرارِ خوفِ موسى ﷺ، مِنْ فرعونَ وقومِهِ أنْ يقتلوهُ، بسببِ الرَّجلِ الَّذي قتلَهُ منهُم، وفي تعبيرِهِ بذلكَ، بيانٌ لمزيدِ حاجتِهِ إلى الأمنِ مِنَ اللهِ تعالى، فالخوفُ ملازمٌ لهُ لا يفارقُهُ، وفي ذلكَ حرصٌ منهُ ﷺ، على اتِّخاذِ ما يُحقِّقُ نجاحَ رسالتِهِ.

سرُّ التَّعبيرِ بالمَصْدَرِ المُؤوَّلِ ﴿أَن يَقْتُلُونِ﴾:

الدَّلالةُ على الاستقبالِ ومراعاةُ الفاصلةِ، مهمّة في السّياق

عَبَّرَ بالمَصْدَرِ المُؤوَّلِ في قولِهِ تعالى: ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾، ولم يُقَلْ مثلًا: (فأخافُ القتلَ)؛ لأنَّ دخولَ ﴿أَن﴾ على المضارعِ يُعيِّنُهُ للاستقبالِ، فيُفيدُ أنَّ القتلَ المَخوفَ مُتوقَّعٌ في المستقبلِ، ولأنَّ في التَّعبيرِ بقولِهِ: ﴿يَقْتُلُونِ﴾ بيانَ صدورِ القتلِ منهُم بجعلِ الضَّميرِ الرّاجعِ إليهم فاعلَ الفعلِ، فيكونُ تأكيدًا لموطنِ المَخافةِ، إضافةً لِما في ﴿يَقْتُلُونِ﴾ مِنْ مراعاةِ ملاءمةِ فاصلةِ الآيةِ لِما قبلَها.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الخوفُ والخَشْيةُ:

الخوفُ توقُّعُ مكروهٍ، والخَشْيةُ خوفٌ يَشوبُهُ تعظيمٌ

فُرِّقَ بينَ الخوفِ والخَشْيةِ: بأنَّ الخوفَ توقُّعُ مكروهٍ عن أمارةٍ مظنونةٍ أو معلومةٍ، ويضادُّ الخوفَ الأمْنُ، ويُستعمَلُ في الأمورِ الدُّنيويَّةِ والأُخرويَّةِ، قالَ سبحانَهُ: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: 57]، وقالَ: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ [الأنعام: 81]، وقالَ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [النّساء: 3]، وقالَ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ

بَيْنِهِمَا﴾ [النّساء: 35][1]، ويُطلَقُ الخوفُ على أثَرِهِ؛ وهو السَّعيُ في مَرْضاةِ المَخوفِ منهُ، وامتثالِ أوامرِهِ؛ كقولِهِ جلَّ وتباركَ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ [آل عمران: 175][2].

وأمّا الخَشْيةُ فهي خوفٌ يَشوبُهُ تعظيمٌ، وأكثرُ ما يكونُ ذلكَ عن علم بما يُخشَى منهُ، ولذلكَ خُصَّ بها العُلَماءُ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: 28]، وقالَ تعالى: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الكهف: 80]، وقالَ: ﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [ق: 33]، وقالَ: ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾﴾ [عبس: 8 - 9][3].

(1) الرّاغب، المفردات: (خوف).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/ 409.
(3) الرّاغب، المفردات: (خشي).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والأربعون،
سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 41 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-92-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 41 : المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-92-1
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-2914887 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»